تداوليــة الحدث الكلامــي في مدائــح الزبيري (الوثنيات)

د. علي عبد الرب ردمان [1،*]

© 2018 University of Science and Technology, Sana'a, Yemen. This article can be distributed under the terms of the Creative Commons Attribution License, which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original author and source are credited.

© 2018 جامعة العلوم والتكنولوجيا، اليمن. يمكن إعادة استخدام المادة المنشورة حسب رخصة مؤسسة المشاع الإبداعي شريطة الاستشهاد بالمؤلف والمجلة.

[1] أستاذ اللغة العربية (البلاغة) المساعد – جامعة العلوم والتكنولوجيا – فرع تعز
*عنوان المراسلة: aliabdulrab2016@gmail.com

تداولية الحدث الكلامي في مدائح الزبيري (الوثنيات)

الملخص:

إن دراسة شعر الزبيري بشكل عام بمنهج نقدي لساني معاصر (المنهج التداولي) لم يكن قد أخذ حقه من الدرس البلاغي لتراثه الشعري، وقضية هذا البحث تعد جزئية من شعر الزبيري وهي امتداد لتراثه الشعري، تحاشاها الشاعر نفسه، وتحاشاها الأدباء والنقاد، والهدف العام من الدراسة هو إبراز دور الشاعر البلاغي في لون من ألوان شعره (المديح)، وإظهار جزء مهم من شعر الزبيري يؤرخ لفترة لم يكن قد أرخ لها أحد، ولم تنشر في الأعمال الكاملة للزبيري التي تضمنت دواوين شعره الثلاثة، وهذه دراسة تطبيقية لنصوص القصائد والتي تم تحليلها ودراستها وفق المنهج التداولي تبين من دراستها أنها ليست مدحا (محضا) بقدر ما تحمل من رمزية ساخرة لتجلية الحقيقة التي يعانيها الشاعر وشعبه من ممدوحه، وخلص البحث إلى أن الشاعر لم يكن في موقف مدح؛ وإنما في موقف صمود وتحد وإصرار وعزيمة، وأن المدائح (الوثنيات) شكلت قوتين إنجازيتين: الأولى: في المستوى الإنجازي المباشر وهو المدح، أما الثانية: فهي القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا، وقد تمثلت في جانبين: الأول: توجيه ولي العهد لما ينبغي عليه فعله، وفي اللحظة نفسها يقدم الشاعر له التحميس والدعم والتشجيع قولا وفعلا، أما الجانب الثاني: فقد كان مغايرا جدا، فالشاعر ثائر، وخطابه كان موجها للشعب بالنهوض والقيام بالانتفاضة من خلال دعوته للتحرر.

الكلمات المفتاحية: التداوليات، الحدث الكلامي، الوثنيات، المخاطب.

https://doi.org/10.20428/JSS.24.3.1

The Pragmatic Speech Event in Al-Zubairi's Panegyrics (Paganisms)

Abstract:

The study of Al-Zubairi's poetry, generally within the contemporary linguistic critical approach (the pragmatic approach), has not sufficiently included rhetorical study of Al-Zubairi's heritage. The focus of this paper is a minor issue of Al-Zubairi's poetry which was avoided by the poet himself, writers and critics. The main purpose of this paper is to cast light on one of Al-Zubairi's types of poetry which is the panegyric type, and to highlight an important aspect of Al-Zubairi's poetry which dates from a period that has not been studied, neither published in his complete works. After studying the poems under question, it was found out that they are not just panegyric type. They are rather symbolic representation used to uncover the truth the poet and his people suffered because of the person (ruler) praised in the poem. The study concluded that the poet was not praising, but he was in a state of steadfastness, defiance and determination. The panegyrics (paganisms) constituted two performative acts: The first is a direct performative act represented by the praise, whereas the other one is an implied act which also has two aspects. Aspect one was a call upon the Crown Prince to act properly; at the same time the poet provided him with the encouragement in both word and deed. The second aspect was totally different; the poet was a freedom fighter and through his call for freedom his speech was addressed to the people to rise and start the uprising.

Keywords: Pragmatics, Speech event, Paganisms, Addressee.

https://doi.org/10.20428/JSS.24.3.1

المقدمة:

الزبيري يمثل ملهما للحياة السياسية من خلال بلاغته المؤثرة في نتاجه الأدبي، حيث كان له الدور البارز في تغيير الحياة بشكل عام. وهذا البحث الموسوم بـ "تداولية الحدث الكلامي في مدائح الزبيري" يتناول قصائدا للمديح الذي سماها الشاعر بعد ذلك بـ "الوثنيات" واستبعدها من ديوانه وأوقف طبعه ليصدر الديوان بعد ذلك من غير قصائد المديح.

الخلفية النظرية:

➢ توطئة: بين البلاغة والتداولية:

انطلاقا من قصد المرسل في تبليغ رسالته، تأتي البلاغة لتدرس كل ما يرتبط باستعمال اللغة وممارستها في أثناء عملية التواصل (فضل، 1996)، فالبلاغة هي كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع (العسكري، 2014)، وتقوم على مبدأ التبليغ والتأثير في السامع أثناء عملية التواصل، ومن هنا يبدو التداخل واضحا بين العلمين (البلاغة والتداولية)؛ حيث إنهما يشتركان في اهتمامهما بدراسة اللغة بوصفها أداة تبليغ وتأثير وتواصل بين المتكلمين (بن يامنة، 2008).

والتداولية مصطلح واقعي يطلق على مجموعة من الفلسفات والمعارف العامة، التي تشترك كلها في ميدان عام، وهو أن صحة الفكرة تعتمد على ما تؤديه من نفع – أيا كان هذا النفع – أو على ما تؤدي إليه من نتائج عملية ناجحة في الحياة (سيف، 2013).

والفعل الكلامي هو: مرتكز الكثير من الأعمال التداولية، وترجمة غير حرفية للمقابل الإنجليزي (Speech Acts)، أي: هو كل "حدث حاصل بواسطة الكائن الإنساني" وهذا ما أشار إليه بوجراند (1998، 228). في حين يعده Searle: "الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلا بعينه (أمر، وطلب تصريح، وعد)، وغايته تغيير حال المتخاطبين" وهذا ما أكد عليه مانغونو (2008، 7)، كما هو شأن البيان في البلاغة العربية، كما يرى الجرجاني أن:

الاستعارة من شأنها أن تسقط ذكر المشبه من البين وتطرحه، وتدّعي له الاسم الموضوع للمشبه به، كما مضى في قولك: رأيت أسداً تريد رجلاً شجاعاً، ووردت بحرا زاخرا، تريد رجلا كثير الجود فائض الكف، وأبديت نورا، تريد علما، وما شاكل ذلك، فالاسم الذي هو المشبه غير مذكور بوجه من الوجوه – كما ترى – وقد نقلت الحديث إلى اسم المشبه به، لقصدك أن تبالغ فيه فتضع اللفظ بحيث تخيل أن معك نفس الأسد والبحر والنور؛ كي تقوي أمر المشابهة وتشدده، ويكون لها هذا الصنيعُ، حيث يقع الاسمُ المستعار فاعلاً، أو مفعولاً، أو مجروراً بحرف جر، أو مضافاً إليه، فالفاعل كقولك: بدا لي أسدٌ، وانبرى لي ليثٌ، وبدا نورٌ، وظهرت شمسٌ ساطعةٌ، وفاض لي بالمواهب بحرٌ... وإذا جاوزت هذه الأحوال، كان اسم المشبه مذكورا، وكان مبتدأ، واسم المشبه به واقعا في موضع الخبر (1992، 97).

والحدث الكلامي: هو الواقعة المرتبطة بالفعل المنجز في زمن معين، أي: أن شيئا ما يحدث عندما يتكلم المتكلم، إذ يؤكد دايك ضرورة النظر إلى النص، بوصفه سلسلة من الأفعال الكلامية، ومن الممكن تحليل النص على أنه متواليات من الجمل، بالنظر إلى النص على أنه فعل كلامي أكبر من أفعال اللسان (دايك، 2005)، وهو ما يراد به فن الإيجاز أحد أبواب علم المعاني، كما قال ابن الأثير (1938، 2/209): "الإيجاز حذف زيادات الألفاظ... والنظر فيه إنما هو إلى المعاني لا إلى الألفاظ، ولست أعني بذلك أن تهمل الألفاظ، بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة، بل أعني أن مدار النظر في هذا النوع إنما يختص بالمعاني، فرب لفظ قليل يدل على معنى كثير، ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل".

https://doi.org/10.20428/JSS.24.3.1

➢ نشأة الفعل الكلامي:

ميز الفلاسفة والمناطقة منذ أرسطو بين أقسام الكلام، ووجدوا أن هناك فرقا شاسعا بين الصيغة الخبرية وصيغ التمني والأمر، فالصيغة الخبرية: هي التعبير اللفظي عن الصيغة المحتملة للصدق والكذب (الطباطبائي، 1994)، فالصدق هو المعيار الوحيد الذي يجب اعتماده في الحكم على جملة ما من حيث دلالتها، والجمل التي تحمل الصدق أو الكذب هي الجمل الدالة في مقابل الجمل التي لا دلالة لها، أي الجمل التي لا تحمل الصدق ولا الكذب، ومن نتائج اعتماد هذا المعيار قلصت العبارات اللغوية إلى فئة واحدة، فالعبارات الخبرية امتازت بخاصيتين هما: وصفها لواقع معين، واحتمالها للصدق أو الكذب بالنظر إلى الواقع الموصوف. يقول العلوي:

واعلم أن الحقيقة إذا كانت هي الأصل في الكلام، فلأي شيء يكون التكلم بالمجاز، و ما الباعث عليه، فنقول: إن العدول من الحقيقة إلى المجاز قد يكون لأمر يرجع فيه إلى اللفظ وحده، و إلى المعنى وحده، وإليهما جميعاً. فاللفظ يرجع إلى المجاز لخفته على اللسان، أو صلاحيته للقافية والسجع، أو جارية على الأبنية الصحيحة في تصريفها. وأما المعنى فلأجل التعظيم، أو التحقير، أو لتقوية حال المذكور، التركيب بخلاف الحقيقة، فأنت إذا قلت: رأيت أسدا في سلاحه، وبحرا في برديه كان أكثر تأكيدا ووفقا في التقوية من قولك: رأيت رجلا كريما أو شجاعا لما يحصل: ذلك من المكانة والمبالغة بذكر المجاز دون الحقيقة (1982، 1/ 79 - 82).

ولأن خصائص اللغة لا تظهر إلا بالمنجز اللفظي في سياق معين. فقد اتضح عدم كفاية الدراسات الشكلية – من حيث التركيب أو الدلالة – وهذا ما دعا الباحثين إلى تطوير الدراسات اللغوية بدراسة استعمالها في السياق الذي يجري فيه التلفظ بالخطاب اللغوي بدءا من تحديده بمعرفة عناصره، ودور كل عنصر منها في تشكيل الخطاب وتأويله، وأهداف ومقاصد المرسل في إنتاج الخطاب، ومعرفة نوع السياق، ومن هنا ركز الدارسون على فعل التواصل (الشهري، 2004).

➢ مرحلة التأسيس لجون أوستين:

انطلق أوستين في نظريته من انتقاد الرأي القائل بوجود أقوال صحيحة نحويا، ولكنها تفتقد إلى دلالات منطقية، وهذا ما دفع أوستين إلى محاولة التمييز في البداية بين الملفوظات الوصفية / الإخبارية والملفوظات الإنجازية / الإنشائية / الأدائية / الذاتية. فالأفعال الوصفية (الإخبارية أو التقريرية): هي الجمل التي يوصف بها العالم الخارجي، ويحكم عليها بالصدق أو بالكذب. أما الأفعال الإنجازية (الأدائية أو الإنشائية (: فهي الجمل التي لا تصف، ولا تخبر ولا تثبت أمرا ما على وجه الإطلاق (أوستين، 2008). وعلى هذا الأساس أعاد التقسيم، وتوصل إلى أن الفعل الكلامي يتركب من ثلاثة أفعال، تشكل كيانا واحدا، وتعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يفصل أحدهما عن الآخر إلا لغرض الدرس وهي: الفعل اللفظي (فعل القول)، الفعل الإنجازي (الفعل المتضمن في القول)، الفعل التأثيري (الفعل الناتج عن القول) (أوستين، 2008)، وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهها بعض الدارسين لتقسيمات أوستين السابقة للفعل الكلامي، فإن هذا لم يمنعه من تصنيف الأفعال الكلامية ضمن خمسة أصناف كبيرة، مقسمة تبعا لمفهوم قوتها الإنجازية أفعال القرارات والأحكام القضائية وأفعال الممارسات التشريعية / القرارات، وأفعال ضروب الإباحة / التعهد، وأفعال الأوضاع السلوكية، وأفعال الإثباتات الوصفية المفسرة / الإيضاح (أوستين، 2008).

➢ مرحلة التطور لجون سيرل (John Searle):

بنى Searle نظريته الجديدة انطلاقا من الأسس التي قام بوضعها أستاذه أوستين، حيث أعاد صياغة أفكاره وتجديدها، وعلى هذا الأساس قام بتعديل التقسيم الذي وضعه أوستين للفعل الكلامي، على أساس التمييز بين أربعة أفعال تنجز معا في الوقت نفسه، كما أشار Searle (1972، 60 - 72) هي: فعل القول، والفعل القضوي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري. ثم توصل أخيرا إلى تصنيف الأفعال الكلامية إلى

خمسة أصناف هي: الأفعال الإخبارية (التقريرية)، الأفعال التوجيهية (الأمريات/ الطلبيات)، الأفعال الوعدية (الالتزامية)، الأفعال التعبيرية (البوحيات)، والأفعال الإعلانية (الإيقاعيات).

➢ تداولية الحدث الكلامي في وثنيات الزبيري:

القصائد الوثنية هي ست قصائد مدحية أوردها القرشي (1990) ملحقا في كتابه (شعر الزبيري بين النقد الأدبي وأوهام التكريم)، رسالة دكتوراه، تفرد بنشرها، ولم تنشر فيها الأعمال الكاملة للزبيري، وتحفظ عليها زملاء الشاعر ظنا منهم أن نشرها ينتقص من مكانة الزبيري، حيث لم تكن القصائد لغرض المدح، وإنما لغرض الإصلاح، حتى أن الشاعر أوقف طبع ديوانه – الذي تضمن الوثنيات – وصدر ديوانه الثاني قبل الأول، حتى سحب تلك القصائد المدحية وسماها بـ(الوثنيات)، وتم بعد ذلك طباعة الديوان على اعتبار أن القصائد لم تحقق الغرض منها، وأوردها صاحب الكتاب – كما يبدو – بعد عناء وبحث طويل، ويلاحظ فيها كلمات ناقصة، يشار إلى نقصها بنقاط بين قوسين (...)؛ كونه لم يتمكن من قراءة تلك الكلمات.

فالشهيد محمد محمود الزبيري – رحمة الله عليه – شخصية جامعة، اجتمعت فيه صفات كثيرة، فهو: أديب، شاعر، مناضل، صحفي، كاتب، وهو وزير وزعيم وطني، ولد في صنعاء عام (1328هـ) من أسرة تنتمي إلى الطبقة الوسطى، وفي عام (1938م)، بدأت مسيرته نحو تحقيق المبادئ الوطنية والقومية والإسلامية منذ وقت مبكر، فبرزت مكانة شعره حتى غدا من أهم الأصوات التي تعكس حركة الشعر المعاصر وتطوره. أما المدح فقد اقتضته تلك الفترة، بهدف الإصلاح وإرشاد ولي العهد لأخذ زمام الأمور الجيدة، وإخراج البلاد مما هي فيه، ولأن الزبيري صاحب حس وطني مرهف، فقد التفت للمدح الذي كان في تلك الفترة وسيلة للتنبيه، والتحميس والدعوة إلى التحرر والانتفاضة في وجه الطاغية (الزبيري، 2004).

فقد قدم الزبيري القصائد الوثنية مدحا لولي العهد المنتظر، معللا ذلك بقوله: "الذي أجزم به أن الشعب لم يكن يطيق أية قسوة على الإمام بقول أو عمل. وكان يعتبرها طيشا... في حين كان شعر المدائح والاستعطاف والتشجيع يلقي استحسانا عاما من المواطنين" (القرشي، 1990، 102)، ولا يمنع أن يكون الشعر مسبوكا محبوكا حتى يلقى استحسان الممدوح، وكون مدح الزبيري قام على المبالغات نراه يرد مدافعا عن ذلك بقوله: "إن المبالغات في المدح والشكوى والاستعطاف يقدم إلى الأجيال صورة رمزية لبشاعة العلاقة بين الحاكم والمحكومين الذين أوقعتهم الأقدار تحت رحمته فاضطرهم بقسوته واستبداده ومنطقه المتأله إلى أن يمدحوه ذلك المدح الذي يتحول بطبيعته إلى لون رمزي من ألوان الهجاء" (القرشي، 1990، 137).

لا توجد دراسة مستقلة تناولت قصائد مديح الزبيري، بل لم تنشر؛ لتحفّظ الشاعر عليها لمغزى سياسي واجتماعي حتى لا تؤثر على بلاغة خطابه للانتفاضة على الممدوح، ولا تؤثر على الدعم الذي يصله من خارج البلاد.

مشكلة البحث:

وجود موروث شعري ليس بالقليل من شعر الزبيري غير منشور وتحفظ عليه معاصروه ولم يحض بالنشر ناهيك عن الدراسة والتحليل، فكان هذا البحث لإبراز هذا الجزء من شعر الزبيري لما يمثل من أهمية في إيضاح الحدث بشكل كامل من خلال شعره كله.

أهداف البحث:

1. إثارة دراسة مديح الزبيري لإظهار المغيب من شعره، من خلال تداولية الخطاب وبنية الحوار.
2. إبراز حقيقة مدح الزبيري، وهل مدح الزبيري ممدوحه فعلا؟! من خلال تعدد أغراض القصيدة: إنجاز لفعل لغوي واحد.

https://doi.org/10.20428/JSS.24.3.1

أهمية البحث:

- **إظهار دور الزبيري وقدرته البلاغية في تحميل المديح أغراضا مقابله له، تفهم من خلال الرمزية التي ضمنها قصائده.**
- **إبراز دور الشاعر في إيصال رسالته بطريقة بلاغية بالوسيلة التي تصل للممدوح ولا يقبل الشعب غيرها في الحديث عن رمزيته الدينية المتمثلة في ولي الأمر.**
- **يبرز البحث دورا مهما في حياة الزبيري تمثل المرحلة الأولى التي عبر منها إلى مخاطبة الشعب للقيام بالانتفاضة والدعوة إلى التحرر.**
- **إثارة شعر المديح وتناوله درسا وتحليلا ليأخذ مكانته متصلا بموروثه الأدبي وليس مجتزأ.**

حدود البحث:

يقتصر البحث على القصائد المدحية التي نشرها القرشي (1990)، ملحقا في كتابه: شعر الزبيري بين النقد الأدبي وأوهام التكريم، رسالة دكتوره، وعددها ست قصائد في مدح ولي العهد: أحمد بن يحيي حميد الدين.

مصطلحات البحث:

- **التداولية: الحدث الكلامي، وهو الإجراء التداولي المباشر وغير المباشر للمتواليات الكلامية.**
- **الفعل الإنجازي: متابعة المستويات اللفظية للأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، ومن أبرز النقاط المؤدية لذلك طريقة استعمال الأفعال بأحداثها المختلفة ومدى نجاحها في سياق الموقف العام.**
- **الوثنيات: هي القصائد التي مدح بها الشاعر الأمير أحمد، وهو في تعز ولي عهد لأبية الذي يحكم اليمن وهو في سن متقدمة، وابنه وولي عهده هو الإمام المنتظر للبلاد بعد أبيه، كان يقصد من مدحه حمله إلى ما يتطلع من إصلاح لشعبه، وكان يراوغه حتى تبين له مراوغته؛ فسماها وثنيات.**
- **الممدوح: الأمير: أحمد، في تعز ابن الإمام: يحيي بن حميد الدين، حاكم اليمن وولي العهد.**

منهج البحث:

اعتمد البحث على منهج نقدي / لساني معاصر، هو المنهج التداولي، المعني بدراسة النصوص دراسة تستخدم المنهج الدلالي وعلاقته بالبلاغة – دراسة تطبيقية، وسار في تحليله إلى المنهج الوصفي المعتمد على وصف الحدث الكلامي المباشر وغير المباشر.

خطوات البحث:

اختيار أبيات من القصيدة المدحية ثم النظر في علاقات ألفاظها وتحليلها تحليلا تداوليا وفق المنهج التداولي الحديث لدراسة النصوص، وهذا المنهج يتوافق مع البلاغة العربية (علم المعاني)، فدراسة القصائد دراسة إنجازية تظهر تعدد أغراض القصيدة وربما الألفاظ المتكررة المعاني فيها لفعل إنجازي له قوى متعددة، يرضاها الممدوح، وتحمل المعاني التي يريدها الشاعر ويسمح بها الشعب ويتقبلها. ثم التوصل إلى أبرز النتائج والتوصيات.

الدراسة التطبيقية:

تداولية الخطاب وبنية المحادثة / الحوار:

يتناول هذا المبحث نماذج شعرية تحليلية تربط بين الحدث الكلامي والفعل الإنجازي / المنجز في إطار السياق المتمثل في بيئة الحوار الشعري المسيطر على نفسية الشاعر أولا، ثم المنعكس على النص ثانيا، ومن أمثلة ذلك القصيدة التي وردت في ملحق كتاب القرشي (1990، 120):

العيد من بسمات ثغرك مشرق	والدهر حول جلال عرشك مطرق
والأرض نيرة بوجهك تزدهي	والشعب أفئدة بحبك تخفق
والبشر قد ترك القلوب مضيئة	ضوء الشموس فكل قلب مشرق
ضحك الزمان فجئت من بسماته	نورا تهيم به القلوب وتعشق
لن تعبس الدنيا وقد وافيتنا	من نور بسمتها تنير وتؤنق
أشرفت يوم العيد أروع طلعة	منه وأكبر في النفوس وأعبق
وكأنما الفردوس صاغت نورها	ملكا نديـن بملكه ونصدق
تبدو لنا فتهم فيك عيوننا	وذكاء في آفاقها لا ترمق
والشمس تخلق ضوء عيد واحد	وعلى جبينك ألف عيد يخلق
نور تأجج لو رآه عالم	ثانٍ لظنوا الأرض منه تحرق
وكأنما صورت في أبصارنا	فتكاد تخطف بالجفون وتسرق
وترى العيون تسيغ نورك لهفة	وتضم محجرها عليك وتطبق
وتكاد تبلعك النواظر خلسة	وتشدّ أهدابا عليك وتغلق
فكأنما صادٍ يقبل كوثرا	فتهيج لوعته عليه فيشرق

يستهل الشاعر قوله بتوجيه الخطاب إلى ذات محددة (ممدوح معين) هو ولي العهد، أحمد بن يحيى بن حميد الدين، ثم تتوالى سلسلة من الأفعال الكلامية / الإنجازية منها: (ترك القلوب، ضحك الزمان، تهيم به القلوب، لن تعبس الدنيا، تنير وتؤنق، أشرفت يوم العيد، صاغت نورها، ندين بملكه، تخلق ضوء عيد، صورت في أبصارنا، وترى العيون، وتضم محجرها، وتكاد تبلعك، وتشدّ أهدابا، يقبل كوثرا، فتهيج لوعته،...)؛ لتشكيل مقدمة متصدرة لحوار الشاعر مع ذاته ثم مع الممدوح والشعب المتأمل فيه كل الآمال، حيث يمكن أن نصور ما كان يدور في خلد الشاعر بالمحاور الآتية:

الشاعر (نفسه):

قدم الشاعر متواليات كلامية إنجازية على مستوى النص الشعري، دارت في حوار داخلي بينه وبين ذاته المضطربة، لم يكن في هدوء واستقرار نفسي؛ لأنه كان يميل إلى الزمن الماضي تارة وإلى المضارع (الحاضر) مرات ومرات، فضلا عن كونه يستعمل الأسماء- كرسم حقيقي لجمود فترة حكم الإمام يحيى وتقبل الشعب ذلك- وهذا كان من نتائج الفترة العصيبة التي تمر بها البلاد، فكل التأثيرات الجانبية انعكست على شخصيته، وصارت محورا بارزا في شعره. فهو يقف مادحا (ولي العهد) بصفات لا تتوفر فيه ولن تتوفر، ومع معرفة الشاعر بذلك إلا أنه يصر ويكابر، ويتم مدحه باستعمال النغم الموحد في قوله: مطرق، تخفق، مشرق، تعشق، اعبق، نصدق، ترمق، يخلق، تحرق...، وإذا بحثنا عن مرجعية القافية وأثرها الإنجازي سيتضح الآتي:

https://doi.org/10.20428/JSS.24.3.1

أولا: مرجعيات الأسماء:

استعمل الشاعر الأسماء – مطرق، مشرق، شيق – بأقل من الأفعال؛ رمزا لجمود الفترة السابقة، وأمل في حركة وتجديد الفترة اللاحقة، مع الإشارة إلى سعيه نحو التغيير، والبحث عما يخرج الشعب مما هو فيه، فالأسماء تعددت بين مسميات وصفات، وكان للصفات الجانب الأكبر في رسم ملامح الممدوح بصورة تشد انتباه القارئ بشكل قوي وغير مباشر.

ثانيا: مرجعية الأفعال:

تدفقت الأفعال الكلامية بطريقة مباشرة وغير مباشرة، وطغى الزمن المضارع – تخفق، تعشق، ترمق، تحرق، تسرق، تطبق، تغلق، يتدفق، يشرق... – على القصيدة بطريقة كبيرة؛ حتى بدت القصيدة محملة بأمل قادم بكل تأكيد، وغد مشرق لا محالة، ثم كان يلتفت الشاعر – في غير القافية – للزمن الماضي (ضحك، ترك، صاغت، صورت، ظن،...)، وكأنه كان يهدف لأمرين هما: الأول: الشعور بمرارة الظلم والقهر الذي يعانيه شعبه، والثاني: لفت انتباه (ولي العهد) بألا يكون نسخة مكررة من أبيه. فكأنما حمل الفعل الماضي تهديدا وتحذيرا، وجاء الفعل المضارع بالأمل والتفاؤل.

ثالثا: مرجعية: الضمائر:

تعددت الضمائر بين المتصلة الظاهرة (ضمائر الرفع والنصب والجر)، والمستترة (ضمائر الرفع) على النحو الآتي:

1. **ضمائر النصب: ورد ضمير النصب (الكاف) متصلا في فعل واحد وهو (تبلعك) فقد جمع الشاعر في هذا الفعل بين الزمن المضارع (تبلع) والفاعل المتأخر عن المفعول (النواظر) والمفعول به المقدم وهو (الكاف)، فالشاعر كان يمدح وكما هو واضح على البيت الشعري أن الشاعر يصور للممدوح أمل الشعب، وحبهم له، وشغفهم به، وشوقهم لما سيقوم به من أجلهم، فمن شدة تفاؤلهم بك أيها الممدوح يكادون يطبقون عليك أهدابهم، ويخفونك داخل عيونهم، ويحكمون الإغلاق؛ لأنه لامثيل لك منقذا ومحررا؛ لكن دلالة الفعل تبلع (غير المباشرة) كانت تخلو من المدح وتذهب بعيدا عنه، فإن لم تكن أيها الممدوح عند حسن ظن الشعب فإنك ذاهب لا محالة، وحياتك زائلة، ومكانك فان، واسمك راحل، ولو أنك لم تكن كما يشاؤون فإنك لن تظل؛ لأن الشعب سيصب جم غضبه عليك، وقد استعمل الشاعر الفعل (تبلع) تصويرا لشدة معاناة الشعب القابع تحت وطأة الكهنوت الظالم. وتهديدا لولي العهد بأن الشعب لم يعد يبالي بما سيقوم به إذا خيب أملهم، وكأن الشاعر يلمح بمرحلة استعداد وتأهب لفترة انتفاضة.**
2. **ضمائر: الجر والرفع: استعمل الشاعر الضمائر المتصلة والمستترة رفعا وجرا، بالإشارة منه إلى أن الجر هو المرحلة القاسية التي مرت وتمر بها البلاد وتعاني من مرارتها، وجرتها إلى أمور لا تحسد أولاها ولا تحمد عقباها، وقد أكثر الشاعر منها – وجهك، ثغرك، عرشك، حبك، أبصارنا – خوفا من تمادي جر البلاد لأكثر مما هي عليه تشريدا وتهديدا وتنكيلا وقتلا و....، أما الرفع فالشاعر يتمنى من خلاله فترة راقية ذات قيادة حكيمة، تخرج البلاد والعباد مما هم فيه وترفع عنهم البلاء والوباء، وتعطي لهم الأمل في الحياة، وتمنحهم التغيير نحو مستقبل مشرق.**

➢ الأنا (الذات):

لم يستطع الشاعر أن يخفي ذاته، أو يعزلها بعيدا عن معاناته، فقد كانت حاضرة تارة وطاغية على شعوره بالقهر تارة أخرى، ومجادلة له ومحاورة تارات وتارات، كما في الآتي:

➢ الذات الحاضرة:

كان لذات الشاعر حضور فعال على مستوى النص الشعري، برز هذا في بعض الأبيات الشعرية، منها قوله: (العيد من بسمات ثغرك مشرق)، فقد ظهرت الأنا المفعمة بالمدح الباعث على الدعم والتحميس والتشجيع لولي العهد المنقذ، وهو أيضا في قوله: (أشرقت يوم العيد أروع طلعة)، فلم تزل ذات الشاعر دافعة ولي العهد التقدم نحو مستقبل مشرق.

➢ الذات الطاغية:

طغت ذاتية الشاعر عليه معلنة التحرر والخلاص، بارزة بروزا واضحا في نصه الشعري، فكلما كان يتعمد إخفاءها، تشع ظهورا في رسم حقيقة الواقع وبأسلوب شعري مباشر وغير مباشر، وأبرز ما ظهرت عليه قوله: البشر قد ترك القلوب مضيئة (دعوة للثورة والانتفاضة)، لن تعبس الدنيا وقد وافيتنا (تصريح بعدم الاستسلام والخضوع للذل)، والشمس تخلق ضوء عيد واحد (إعلان الاستبشار بالنصر والفرج القريب).

➢ الذات المحاورة / المجادلة:

بات الجدل والحوار الداخلي بين الشاعر وذاته مسيطرا على قصائد المدح التي يقولها في ولي العهد، فما كان يراه في الواقع يختلف عما آل إليه، فلم يكن كما كانت الآمال ترجوه، وهذه الحقيقة لم يصل إليها الشاعر إلا بعدما قدم مدحا خالصا له، وعندما كان يقف مادحا كانت ذاته تشعره بذلك، لكن همه كان أكبر وأسمى وأرقى من أي أغراض أخرى، فلم يسع للتزييف أو النفاق والخداع، كان صريحا مخلصا ومعجبا ومحبا لتلك الشخصية الحاضرة في زمن البؤس والنفور، حتى لقد تداعت ثورة التغيير بداخله، وطموح التجديد في مخيلته، وأمل المستقبل المشرق في ملايين الشعب الذين ينتظرون منه الانبعاث انطلاقا نحو التجديد.

الممدوح: كان شخصا بارزا وذا مكانة عالية، وقد وضع الشعب كل آمالهم وطموحاتهم فيه، وهم بانتظار صموده معهم ودعمه لهم، وإرجاع حقوقهم وإنصافهم، وكان شخصا مثاليا في نظر الشاعر وعامة الشعب، يحمل قلبا كبيرا خاليا من الأحقاد ضد الشعب المقهور، لكنه لم يكن كذلك في ذات الشاعر الشاعرة بكل ما يدور في البلاد، فكلما بدأ الشاعر مادحا مبالغا في الوصف، طغت عليه شعرية الواقع بالتنديد بأن ذلك الممدوح سيكون نسخة من والده، فيمسك الشاعر نفسه ويجمع قواه ويخرج من المدح إلى الهجاء تنبيها وتحذيرا، تخويفا وتهديدا مما سيقدم عليه ولي العهد ضد أبناء الشعب.

الشعب: هو هَم الشاعر، وسر معاناته، ونقطة ضعفه المغروسة في أعماق قلبه حبا له وتقديسا لمكانته وخوفا وحرصا عليه. ومع اختلاف الأجناس تبعا لميول كل شخص لكن الشاعر كان يخاطب الجميع، ويدعوهم للصحو من سباتهم العميق، والبحث عن حل يخرجهم مما هم فيه، فرسالة الشاعر كانت واضحة، ودعوته للانتفاض والثورة ضد حكم الإمامة كانت ظاهرة في تعابيره وفي تقاسيم حواره. فهو كفرد يحمل اسم هذا الوطن الممزق الأطراف، ويسعى إلى لفت انتباه عامة الشعب بمدح، باطنه هجاء، مع دعوة جهرية للخلاص من عباءة الحاكم الغاشم، كما في الشكل (1):

https://doi.org/10.20428/JSS.24.3.1

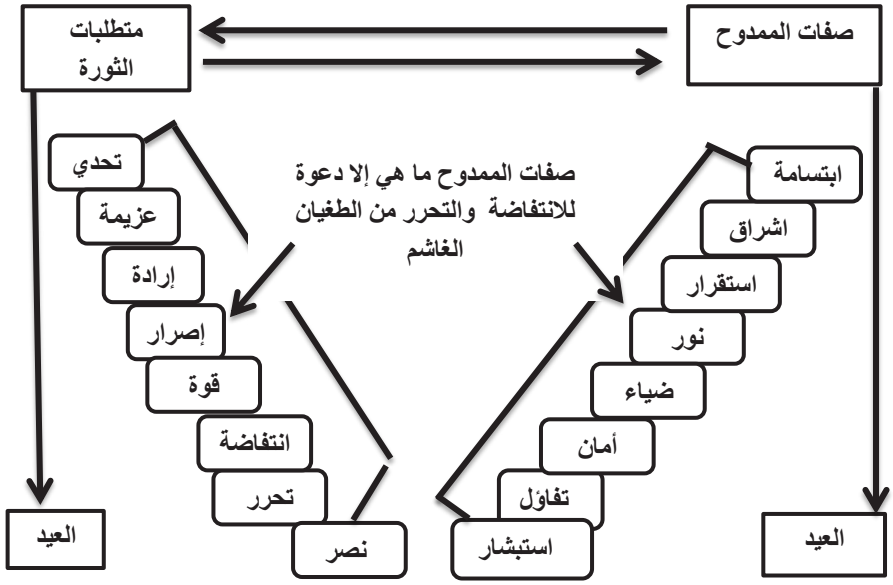

شكل (1): صور المديح ومتطلبات الثورة

فالعيد هو الرابط المشترك بين صورة الممدوح ومتطلبات الثورة، ففي المدح باتت الصورة واضحة جدا على مستوى النص التداولي للسياق الظاهر، أما في الذم / التهديد، فقد انعكست الصور انعكاسا ظاهرا على الواقع الأليم، لهذا إذا وضعت صفات الممدوح في مقابلة صفات التهديد غير الظاهر في النص فسيكون هناك عدم توازن تام بين الصورتين، فالممدوح عيد مشرق وبهاء مشع، وأمل في الحياة يتجدد، ومع اعتراف الشاعر بهذه الصفات، فإنه استمد منها رسما بديعا للواقع اليمني، وللشعب المتجرع مرارة الظلم والقهر والجبروت. والعيد بهجة، لكنها ليست في هذا الشعب الذي لم يشعر بالفرح يوما ولم يتلذذ طعم العدالة ساعة، بهجة في عيونكم أنتم أيها الحكام الذين تبتهجون فيه على حساب الفقراء والضعفاء والعاجزين أمثالنا، العيد عيدكم، أما نحن فلم نشعر به ولن نشعر به إلا بعد الخلاص منكم، وهذا تحذير لكم بعدم التمادي في انتهاكاتكم وسلب حريات الشعب المظلوم والمنكوب بكم، وهنا يظهر المدح المبطن بالتحذير، فقد توالت الأحداث الكلامية مدحا لولي العهد، وذكر محاسنه ومزاياه، ورسمت صورة استبشار الناس بذلك، وقدمت الممدوح في أبهى صورة، وأجمل مكانة ومنزلة، حتى بات الكل ينتظر حضوره بشوق وشغف فهو الفارس المنتظر، والأمل المرجو والمنقذ والمحرر، والداعم لهم، كيف لا وهو كان مخالفا لأبيه في كثير من الأمور لعل أهمها الأمور الخاصة بالشعب وقضاياهم، فقد انطلق الزبيري في مدحه له من مخالفته لأبيه، وميوله لشعبه، وكانت هذه هي نقطة الانطلاق، ولم يبق غير تذكيره وتنبيهه بأن لا يتكاسل أو يتقاعس. وهذه هي الصورة الحقيقية للمدح الظاهر في مستواه الإنجازي الأول مدحا خالصا نقيا مفعما بالعاطفة الفياضة، والحب والإعجاب الشديدين، وما يؤكد ذلك دلالات الألفاظ والتراكيب والجمل والعبارات، فكلها تؤدي إلى حقيقة مفادها أن الزبيري كان يسعى للخروج بالشعب إلى (الإشراق، الأمل، النور، الضياء، والابتسامة)، وكل هذه الألفاظ تحمل دلالات التحرر والخروج من جبروت الظلم والظلام الذي كان يعيشه الشعب وأفراده.

فجميع الأفعال الكلامية المنطوقة آلت إلى الإنجاز والموافقة والنجاح، وذلك لتوفر العوامل التي يتألف منها السياق التداولي، ومن تلك العوامل: المتكلم: وهو الشاعر الذي يحمل في قلبه الكبير هموم الوطن وأوجاعه. والمخاطب: وهو أحمد بن يحيى، ولي العهد الرجل المؤمل للمستقبل المشرق. والعلاقة: بين المخاطب (الممدوح) والشاعر (المادح) علاقة قوية تربطها الأرض / الوطن / الشعب، لكن مكانة الممدوح كانت ذات

https://doi.org/10.20428/JSS.24.3.1

منزلة عالية، والشاعر كان يسعى لتحميس الممدوح وشد انتباهه للنظر إلى الشعب بعين راضية، وقد اتخذ الشاعر من المدح وسيلة للوصول إلى ذلك؛ لأن الشعر كان يلقى قبولا في نفوس عامة الشعب، ومن هذا المنطلق وظف الشاعر مقاصده وأهدافه نحو ولي العهد، بأسلوب يتراوح بين الشدة واللين تارة، والضعف والقوة تارة، والنصح والتحذير تارة، والأمر والرجاء تارة أخرى. ولأن الشاعر صاحب حس مرهف، وعقل ناضج، وهدف محدد يسعى للوصول إليه، فقد كان محور العلاقة في النص الشعري يدور في عدة محاور تتمركز في كل من:

علاقة التمهيد: فالتمهيد للدخول إلى المدح كان واضحا، فلم يقم الشاعر بالسرد المباشر لصفات ولي العهد بل مهد وتدرج وصولا إلى ما يريد، حتى باتت قصائد المدائح قصائد متعددة المعاني والدلالات، واتضح عنصر التمهيد في العلاقة التي تربط بين الأفعال الإنجازية الآتية: (ضحك الزمان، تعبس الدنيا، تخلق ضوء، تهيم به القلوب، صورت،.....) من حيث تواردها في النص الشعري عبر متواليات كلامية متسلسلة في أحداث منجزة على المستوى التداولي اللساني المباشر وغير المباشر، وقد دارت المحاور التمهيدية في المرتكزات التداولية المتمثلة في (العيد، الدهر، الأرض، الشعب، البشر، الزمان) وقد تدرج الشاعر في ذلك على النحو الآتي:

علاقة الإيجاب والإيقاع: تمثلت هذه العلاقة بين الأفعال الإنجازية الآتية: بوجهك تزدهي، وترك القلوب، وضحك الزمان، أشرفت يوم العيد، صاغت نورها،.... وبين متتالية أفعال الكلام، كما في قوله: (تخفق، تعشق، نصدق، ترمق، يخلق، تحرق، تسرق، تطبق، تغلق،....)، والعلاقة التي تحكم هذا الارتباط هي علاقة التعبير الكلامي في بث المشاعر والتعبير عنها بطريقة مباشرة على مستوى النص الشعري وفقا لمتواليات الأحداث السلوكية التي يعبر عنها الشاعر.

علاقة التأثر: هي العلاقة المتولدة بواسطة الربط بين الجمل، فكل من (الدهر) و(الأرض) و(الشعب) و(البشر) معطوف على الجملة الأولى (العيد من بسمات ثغرك مشرق). فالعيد (مشرق)، والدهر (مطرق)، والأرض (نيرة)، والشعب (يخفق)، والبشر (يضيء)، فالحدث الكلامي هو (العيد)، وهو محور الإنجاز التلفظي، وبه تكتمل الفرحة، وقد ورد تقديم الشعب على (البشر) لأنه أساس الانتفاضة والقوة الكامنة في وجه الظلم، وبه سيكون البشر والاستبشار والاتحاد ودعوة للتوحد، فقد أحسن الشاعر في تحميس الشعب أولا ثم الممدوح ثانيا، فالرسالة باتت واضحة وصريحة، فأنت أيها الممدوح عيد لنا وفرحة غابت أزمانا، وهذا أملنا فيك، وإن لم تكن كذلك فنحن شعب مشرق لا يقبل الظلم ولن يرضى به، لاسيما والأرض أرضنا، والدهر مطرق يسمع وينصت لنا، وأفئدتنا تخفق بالاشتعال والتحرر من عباءة القهر والظلم، فلا تدع الاستبشار بك والثقة فيك تدمر آمالنا والمتعاطفات حملت في ضوء إنجازيتها أغراضا متوالية لأحداث متساوية في الشكل والمضمون، فالشكل العام كان عطفا تام المعنى (بالواو والفاء) ولن يتم المعنى بسواهما، فضلا عن كونهما رسما الغرض الإنجازي رسما مباشرا للمتلقي العادي، وغير مباشر للقارئ الواعي، تمثل هذا بالآتي:

تعدد أغراض القصيدة إنجاز لفعل لغوي واحد:

تعددت الأغراض في الوثنيات، مع أن الفعل الإنجازي كان واحدا وهو المدح، وبدا هذا واضحا كما جاء في ملحق كتاب القرشي (1990، 123-122):

1. قل للألى سلبوا الشعوب حقوقها ... إن لم تردوا حقنا فتصدقوا
2. ما أكثر الأسلاب في أيديكم ... لو كان يُغني سارق ما يسرقُ
3. جعتم وملك الأرض تحت نفوذكم ... إن الغني مع التلصص ممرق
4. اليوم تحترقون في جناتكم ... تبا لكم أين الزلال الريق؟
5. أين الحضارة؟ إذ زعمتم أنها ... جنات عدن بالفنون تزوق
6. أين العقول؟ وأين أرباب النهى؟ ... أين العلوم وأين ذاك المنطق؟
7. خلبتكم لغة الحديد وراقكم ... لون الجحيم وقد غدا يترقرق

https://doi.org/10.20428/JSS.24.3.1

8.	الطفل أهدى منكم، وفراشة ال	مصباح أدرى للصواب وأحذق
9.	زلزلتم الدنيا لكي تجدوا بها	رزقا وطير القفر (شاء) يرزق
10.	وعبدتم الدنيا وحتى لو بدا	لغنيكم لهوى إليه يصفق
11.	إنا وإن ذهب الزمان بحقنا	سنرده والدهر عاتٍ محنق
12.	كنا هداة العالمين وأنتم	ما بين جلمود وآخر ينعق
13.	سدنا ولم تكن الجحيم سلاحنا	كلا ولكن رحمة وترفق
14.	تتصاغر الدنيا إلينا ذلة	فنصد عن لألئها ونحملق
15.	اسمى وأمنع من النجوم سمائنا	وأشدّ عزما من سهام تمرق
16.	كثبان بيد العرب أصعب سلما	من (.....) إذا تضايق مخنق
17.	أرض مخاليب الأسود هو ودها	القصوى وأنياب الأفاعي خندق
18.	مولاي مجدك شامخ متطاول	يرنو القريض إلى ذراه فيفرق
19.	لو لم يصفه الشعر فهو حقائق	في نفسها منها لسان ينطق
20.	ما كنت في شعري بليغا مفلقا	لكن علاك هو البليغ المفلق
21.	كاد اليراع وقد أناخ بأنملي	يخضر من ذكرى نداك ويورق
22.	ملأت معانيك الرقيقة نفسه	فيكاد يصرخ كالرعود ويبرق
23.	غدوت ألقي الشعر نسجا واحدا	ولربّ شعر كالرقاع يلفق
24.	تبلى الشموس وتنطفي أنوارها	وقصائدي وضاءة لا تخلق
25.	وتخر هامات السناخيب الذرى	وعماد أبياتي وطيد معرق
26.	فلختبأ الأفلاك ضوء نهارها	فنهار شعري خالد متألق
27.	لو مر في الجنات عرف نسيمه	أضحت به حور الجنان تصفق

يقف الشاعر مادحا لولي العهد، وعلى مستوى الإنجاز الكلامي لمتواليات الأحداث المباشرة في النص فإن الإنجاز الفعلي لغرض (المدح) كان هو المسيطر على القصيدة، ومع أن الشاعر كان في قلق نفسي واضطراب وطن، وحزن بائس وألم مستمر فقد تعددت الأغراض في قصيدته، وهذا ما يسمى بالأفعال التوجيهية التي هي نوع من أفعال الكلام التي يستعملها المتكلمون ليجعلوا شخصا آخر يقوم بشيء (الطباطبائي، 1994) أي هي: حمل المخاطب على أداء فعل معين كما أشار برينكر (2004)، أو تقديم أمر من المخاطب وطلب تنفيذه من المتكلم، والتوجيهات هي الأوامر التي تصدر من المتكلم، لتوجيه المتلقي أو التأثير عليه، مع خلوها من الجانب الشعوري غالبا، وينبغي أن تكون قابلة للتنفيذ، ومن مجالاتها الفرعية نجد: الاستفهام، والنداء، والأمر، و الاستعطاف، والنهي، و....ومن أبرز الأغراض التي جاءت في القصيدة ما يأتي:

أولا: الأمر:

والأمر طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى: حقيقة، أو ادعاء، أي سواء أكان الطالب أعلى في واقع الأمر، أم مدعيا لذلك. والأمر كفعل إنجازي، هو: طلب الفعل على وجه الوجوب، فالمتكلم عندما يثبت، أو يستفهم، أو يعد، أو يحذر، أو ينهي، أو... في مقامات خطابية واقعية، فإنه ينجز أفعالا بواسطة اللغة هي فعل الإثبات، وفعل الاستفهام وفعل الوعد وفعل التحذير على التوالي، كما أنه عندما يأمر أو ينهي في مقامات خطابية واقعية، فإنه ينجز مباشرة وبواسطة عملية التلفظ ذاتها، أي: أن المتكلم عندما يأمر وينهي أمراً ونهيا مستوفيا لشروط الأمر والنهي؛ فإنه يحول وضعية مخاطبه من وضعية الاختيار بين فعل الشيء وعدم فعله. أما دلالة فعل الأمر – كفعل لغوي إنجازي – فهي وجوب الفعل، حيث يؤكد Searle ذلك بقوله: "إذا أنا

طلبتُ من غيري تحقيق شيء يبدو لي بوضوح أنه آخذ في إنجازه، أو على أهبة الشروع في تحقيقه في استقلال عن طلبي، فإن طلبي هذا سيكون لا محل له، وبالتالي لا غيا" كما أشارت الزهراوي (1997، 144).

وقد مثل الزبيري لدلالة الأمر بقوله كما في ملحق القرشي (1990، 122 - 123):

1. قل للألى سلبوا الشعوب حقوقها إن لم تـــردوا حـقـنـا فـتـصـدقـوا
2. مـا أكـثـر الأسـلاب في أيـديـكـم لـو كـان يُـغـنـي سـارقـاً مـا يـسـرقُ
3. جعتم وملك الأرض تحت نفوذكم إن الـغـنـي مـع الـتـلـصـص ممـرق
4. الـيـوم تحـتـرقـون في جـنـاتـكـم تـبـا لـكـم أيـن الـــزلال الـريـق؟

فالفعل الإنجازي / التوجيهي (قل)، والغرض منه الأمر، فعلى مستوى قوة النص الإنجازية المباشرة يبدو أن الشاعر يقف موقف الجاد صارخا بالأمر (قل) مفسرا ذلك (للألى سلبوا الشعوب حقوقها)، (إن لم تردوا حقنا فتصدقوا). فهو في حقيقته الظاهرة يقدم أمرا وقولا لفظيا متلفظا به وفق متتاليات سياقية ملائمة للحدث، لكن الموقف وسياق الحال كان مختلفا تماما، فالشاعر في موقف مدح، والمدح خضوع للممدوح وتذلل وطلب الاستعطاف والرحمة، لكن الشاعر خالف القاعدة، وجاء بتراكيب مغايرة، وبدلا من أن يكون سامعا مطيعا للمادح، أصبح يأمر المادح ويطلب منه أن يوجه قولا معينا لأناس سلبوا حقوق الشعب وخيراته. فالشاعر لم يستطع أن يستمر في مدحه ومغالطة الشعب ومن حوله، فمهما حصل له ويحصل جعله يكتوى حسرة وألما لما دار ويدور في وطنه، وأكثر ما يؤلمه حقوق الشعب التي سلبت وسرقت، لهذا خرج فعل الأمر الحقيقي إلى العديد من الأغراض – غير الحقيقية – غير المباشرة، ومنها:

1. التهديد: وهو: "أمر في ظاهره، ولكنه يستبطن تلويحا بما قد يُنجز من تحقيق مضمون الأمر" كما عرفه الزناد (1992، 122) أي: أن تحذر شخصا مما سيترتب على أفعاله، وأن تتوعده بالإيذاء والإساءة إن استمر في أعماله تلك. والتهديد غرض غير مباشر أي قوة إنجازية مستلزمة مقاميا، فالشاعر يأمر الممدوح بأن يقول متواليات لفظية في سياق معين، لكن لم يتم تنفيذ الأمر من قبل المتلقي (الممدوح) نظرا لمكانته ومنزلته، وهو الذي يحق له الأمر والنهى، ولأن الشاعر يعي ما هو فيه، ويخاف من أن يكون ولي العهد نسخة من أبيه، فقد وقف موقف المهدد والمحذر له من الوقوع فيما وقع فيه والده، فضلا عن كونه كان يذكره بين حين وآخر بأعمال والده.. والخطاب التداولي للنص الشعري حمل عدة مستلزمات مقامية منها:

قل للألى سلبوا الشعوب حقوقها إن لم تردوا حقنا فتصدقوا

فطلب القول كان موجها من المتكلم (الشاعر) إلى المخاطب (الممدوح)، والهدف إيصال رسالة تحمل تهديدا له من عدم الوقوع فيما وقع فيه والده. وقد تضمنت الرسالة محتوى قضويا شكل أهمية القضية التي يريد الشاعر أن يوصلها لولي العهد ولكل من تقلد منصبا أو مكانة... فالقول: طلب والطلب وجه لمن هو أعلى، ولم تتوفر هنا شروط فعل الأمر من حيث الإنجاز، لهذا خرج الفعل عن محتواه إلى محتوى آخر تمثل في التهديد، فالشاعر لم يكن ليأمر الممدوح ولكن أزمة الشعب و اضطهادهم، وأكل حقوقهم، وسلب ممتلكاتهم، ولد لدى الشاعر قضية استلزمت متواليات غير مباشرة لتصل إلى الممدوح، ولم يكن ليجد مدخلا مناسبا لها غير (قصائد المدح)؛ لأن المتأمل للأبيات يجدها مدحا مفعما بالحب والإعجاب والدهشة، لكن أبعاد النص الدلالية والتداولية تكمن في المعنى الخفي الذي بطن به الشاعر مدحه وهو (التهديد)؛ لأنه لا يعقل أن يقدم أمرا بهذه الطريقة والموقف إلا إذا خرج الأمر عن محتواه القضوي إلى محتويات أخرى دلالية، وهذا ما تحقق في النص الشعري.

https://doi.org/10.20428/JSS.24.3.1

2. التوضيح: شكل هذا المستوى تداولية لأبعاد المستوى اللفظي: حيث وضح قدرة الشاعر على اختيار الألفاظ اختيارا دقيقا مناسبا للحدث الكلامي الموحد والمنجز، فالطلب كان (أمرا) بالقول، ثم أتبع – الطلب – توضيحا لفئة معينة من البشر، وهم الذين يسلبون حقوق الشعوب، ثم جاء الرد من قبل المتخيل الحواري، ماذا أقول لهم؟ فيقول الشاعر: حذرهم /هددهم / أنصحهم / بأن يردوا حقنا!! ثم يأخذ الشاعر بعد هذا متنفسا من القول، ويبدأ بتوضيح صفات هؤلاء السرق واللصوص، مع إشباع النص الشعري بثورة الألم والقهر ومرارة الندم. ومن أمثلة ذلك قوله:

1. قل للألى سلبوا الشعوب حقوقها إن لم تـــردوا حـقـنـا فـتـصـدقـوا
2. مـا أكـثـر الأســـلاب في أيـديـكـم لـو كـان يُـغـنـي ســارقـا مـا يـسـرقُ
3. جعتم وملك الأرض تحت نفوذكم إن الـغـنـي مـع الـتـلـصـص ممـرق

3. الإخبار: والإخبار هو: تقديم معلومة إخبارية للسامع، بغرض الإفادة التي يجهلها، أو يريد تأكيدها، وقد وظف الشاعر العديد من التراكيب الإخبارية توظيفا غير مباشر (تداولية) لأبعاد المستوى التركيبي، حتى أن القارئ العادي قد لا يلتفت لذلك، ومن أبرز التراكيب التي جاء بها الشاعر، قوله:

قل للألى سلبوا الشعوب حقوقها إن لم تردوا حقنا فتصدقوا

فالشاعر يقدم الأهم على المهم، لأنه لا يهتم بالحقوق سواء أكانت مادية أم معنوية؛ بل هو على يقين بأنه يعيش في عالم مليء باللصوص، لكنه كان يعاني من معاناة شعبه، وشغله الشاغل هو الشعب، لهذا نراه يهتم به مقدما إياه على الحقوق، التي يزعم أن الشعب لو وقف على قدميه فإنه سيستعيد كل حقوقه، فالشعب هو صاحب الشأن، لهذا لابد أن يكون القرار له لا لسواه. فضلا عن كونه نسب الحقوق في الشطر الأول للشعب مضيفا إياها إلى (الهاء) بالقول: (حقوقها). وفي الشطر الثاني أضافها إلى (نا) المتكلم بقوله: (حقنا). ففي الشطر الأول يقف الشاعر مخاطبا وناصحا ومرشدا (قل)، لكنه في الشطر الثاني يعلن عن غضبه، ويخرج عن صمته، وينقلب على ألفاظه وتراكيبه فيصرح مهددا ومحذرا بجملة الشرط (إن لم تردوا حقنا) ثم يأتي بالجواب فتصدقوا.

4. التأكيد: فالشاعر قد استعان بالتركيب الشرطي تأكيدا على كلامه وتهديدا لولي العهد بجملة الشرط والجزاء؛ وليتم تهديده بصورة غير مباشرة، قدم الشرط مع طرح احتمالات الجواب، إن لم تردوا!! وهو على علم أنهم لصوص ولن يردوا الحقوق التي سلبوها، ومع هذا فقد وجدنا في الجواب عدة احتمالات مستلزمة يقتضيها السياق، منها: النصح، التعجب، السخرية، الاحتقار، التمني، الترغيب: الاستفهام الاستنكاري، الإنذار، الاعتراف، التخيير، التشفي،...

5. الاستهزاء / التهكم / السخرية: جسد الشاعر التراكيب الاسمية والفعلية في قالب حواري، يُشع استهزاءً وسخرية واستحقارا، وتعجبا فأنتم سرق والسارق لا يشبع ولن يتوب، فقد أصبحت هذه عاداتكم التي أدمنتم عليها، فلو كان يغني سارقا ما يسرقُ، ومن أبرز التراكيب المزج بين الأسماء وما يقابلها من أفعال، فالأسلاب جمع وقد وظف الشاعر الجمع بدلا عن المفرد كناية عن الكثرة والإخبار والتأكيد على تلك الحالة، لكنه أردف ذلك الجمع بالفعل الماضي المسند إلى واو الجماعة (سلبوا)، دليلا على الماضي الأسود، الذي أصبح وصمة عار عالقة بهم، أما "سارق" قد جاءت مفردة تختص بفرد معين وهو الإمام الذي سرق حقوقهم، ودعم هذا الإفراد بالفعل المضارع (يسرق) (كناية عن استمراريته إلى الوقت الحالي، وإشارة الى مكانته (ملك على الشعب) ويقوم بقضايا السلب والنهب.

6. التنبيه: والتنبيه واحد من الأغراض التوجيهية الناتجة عن فعل الأمر الموجه بصيغتين: الأولى الأمر الواضح على النص، والثانية التنبيه المقدم من المتكلم إلى السامع تحذيرا مما قد يحصل له بسبب أعماله، وتنبيها له بتجنب تلك الأعمال التي ستؤدى إلى الندم حتما لا محالة، مع توعيته بالابتعاد عن تلك الأشياء، حتى لا يقع في الحسرة بعد ذلك. وقد وقف الشاعر موقف الحائر بين الفترتين الزمنيتين، مقارنا تارة ومتحمسا تارة، ومنبها تارة أخرى، فهو يمدح ولي العهد

(أحمد بن يحيى بن حميد الدين)، ويستعمل ضمائر مسندة إليه، لكن يشده ألم الواقع ويتذكر ما بات شعبه عليه فيلتف إلى فترة يحيى حميد الدين، ليضع من ولي العهد رمزا للحب والإخلاص والوفاء، ويشده ما يرى – في صمت وذهول – من أعمال وقتل وتنفير يقوم بها الإمام الطاغية الظالم، فيقف الشاعر بين هاتين المرحلتين وكأنه ينبهه أنه لا يكرر صورة الطاغية بطاغية آخر، فالشعب لم يعد يحتمل ذلك، ولن يتحمل أي ظلم وقسر جديد.. لهذا ظهر التنبيه بارزا بشكل غير مباشر على النص الشعري. فالمتكلم وجه خطابه بالقول (قل) وكان الفاعل الذي ينبغي أن ينفذ الأمر هو ضمير مستتر تقديره أنت (مخاطب)، والشاعر هنا تعمد إخفاء الفاعل حتى لا يلفت الأسماع للهجاء الذي بطنه بأسلوب المدح، ويستمر في خطابه ويقول: (سلبوا) وهنا يظهر التنبيه في دلالته الإنجازية في التحول من ضمير المخاطب المفرد (أنت) إلى ضمير الغائب (هم)، ثم يعود لاستعمال ضمير المخاطب، ولكن بصيغة الجمع (أنتم) البارز في الفعل (تردوا) المسند إلى تاء المضارعة المؤكدة على خطابه للحاضر المخاطب القابع أمامه ماثلا في مديحه.

ونراه يكرر استعماله للمخاطب كما في قوله: (ما أكثر الأسلاب في أيديكم)، فالكاف (في أيدكم) عائد على ولي العهد والإمام، وهو أيضا يثبت في قوله: (جعتم (أنتم) ونفوذكم (أنتم)، اليوم تحترقون (أنتم)، جناتكم (أنتم)، تبا لكم (أنتم))، فالشاعر التفت مرة واحدة لضمير الغائب (الجمع) وهنا إشارة تنبيهه لما سبق، مع سعيه لإصلاح القادم، وهو بهذا أكثر من استعمال ضمير المخاطب، المفرد والجمع، فقد مثل المفرد مخاطبة ولي العهد لأنه الأمل للشعب، والمستقبل عائد عليه، أما الضمير (أنتم) فقد كان يخاطب به (الأب وابنه) في مقارنة قائمة على التنبيه، يشع منها التهكم الساخر والاستهزاء، حيث اتضح ذلك من خلال الأسئلة الاستنكارية التي طرحها الشاعر، كما في قوله:

1. اليوم تحترقون في جناتكم تبا لكم أين الزلال الريق؟
2. أين الحضارة؟ إذ زعمتم أنها جنات عدن بالفنون تزوق
3. أين العقول؟ وأين أرباب النهى؟ أين العلوم وأين ذاك المنطق؟

ثانيا: الاستفهام: يُعد الاستفهام من الأساليب البلاغية الإنشائية ذات الأهمية البالغة في عمليتي الحوار والإقناع، حيث لا يمكن للمرسل أو القائم بالاتصال بأي حال من الأحوال الاستغناء عنه، باعتباره أداة ووسيلة أساسية في العملية التواصلية، وقد عده علماء المعاني بأنه "استعلام عن نسبة هي في أصلها خبر" كما أشار صحراوي (2005، 202)، أما الأصوليون فقد جعلوه متنقلا بين الخبر والإنشاء، بحسب السياق، وقصد المتكلم وغرضه من الخطاب، والاستفهام في حقيقته المعروفة (نفي وإثبات)، والوارد للنفي يسمى استفهاما إنكاريا، والوارد للإثبات يسمى استفهاما تقريريا؛ لأنه يطلب بالأول إنكارا على المخاطب وبالثاني إقراره به. ومن هنا اتسعت رقعت الاستفهام بين الأطراف المتحاورة، فكلما زادت رقعة الحوار اتساعا زادت واتسعت رقعة الحجاج، وارتفعت نسبة الإقناع (مزواغي، 2012). وقد وظف الزبيري هذه الظاهرة في شعره بالقول:

1. اليوم تحترقون في جناتكم تبا لكم أين الزلال الريق؟
2. أين الحضارة؟ إذ زعمتم أنها جنات عدن بالفنون تزوق
3. أين العقول؟ وأين أرباب النهى؟ أين العلوم وأين ذاك المنطق؟

حمل الاستفهام قوتين إنجازيتين، تمثلت الأولى في القوة الإنجازية المباشرة، وهي الأسئلة المباشرة التي صدرها الشاعر في خطابه الشعري بالقول متسائلا: أين الزلال؟ أين الحضارة؟ أين العقول؟ أين أرباب النهى؟ أين العلوم؟ وأين المنطق؟ فكلها أسئلة طرحها الشاعر لا تحتاج إلى إجابات؛ لأنه لم يكن يهدف لذلك بقدر ما كان يسعى إلى القوة المقامية غير المستلزمة. وهي التي تستدعي إجابات، ولكنها إجابات غير حقيقية على مستوى النص الشعري واحتمالات الإجابات وفقا لمتتالية الحدث الكلامي، تكون كالآتي:

أ. ورد التساؤل الأول بالقول:

(أيـن الـزلال الريق؟) مثل الاستفهام إنجازية الحدث الكلامي على مستوى متوالية الربط التداولي، واتضح ذلـك من خلال ربط السـؤال بالسياق وظروف النص الشعري وملابساته، فالشاعـر لم يقف مادحا ومسائلا، بـل كان يعـبر بالتسـاؤلات عما في نفسه، وكأنـه يضع ممدوحه وأهـل بيته في واقع ساخـر، واستفهام تهكمي، فأيـن الـزلال؟ ما هو إلا تعجب ساخر ممـا آل إليه ولي العهد ووالده من قبـل، فاليوم تحترقون في جناتكم؟! فكل هذا العز والعرش لم يوفر لكم السعادة يوما ما، فلعنة الشعب سوف تزلزل كيانكم وتدمر جناتكم، حتى إنها ستسلبكم الراحة والاستمتاع بالسلب والنهب، ثم يدعو الشاعر عليهم بقوله: (تبا لكم) لا على سواهم، ومـا يؤكـد ذلك ضمير الخطـاب (الكاف)، فكل ما تم جمعـه وسرقته ونهبه، وكل خيرات البـلاد، وامتصاصكم لدمـاء الشعـب، لم تعد عليكم إلا بالوبال والبلاء، فأنتم لن تجدوا ما يشبـع بطونكم، لهذا أقف اليوم ساخرا ممـا عملتـم، محذرا إياكم مما قد تنجرفون إليه... فالشعب لن يقهر، ولن يصمت طويلا، بل صار يتساءل أين الحضارة؟

ب. ورد التساؤل الثاني بالقول:

(أيـن الحضـارة)؟ لم يطلـب الشاعر من ولي العهد أن يشير إلى الحضارة التـي بناها أبوه، بقدر ما كان يسخر من فقدان حضارة الشعب وثرواته وممتلكاته، وكان سؤاله عن الحضارة نابعا من زعم الإمام أنها جنات عدن بالفنـون تـزوق! فلم يشهد الشعب وجـود حضارة ولا فنون ولا حتـى حرية للتعبيرعن الـرأي، فأنتم كهنوت ظالم قامع، فكيف لكم أن تبنوا وطنا حضاريا أصيلا، وأنتم تسرقون كل جديد يسعى إليه الشعب، فلم تتركوا صاحب فكرة ولا رأي، لهذا كرر الشاعر سؤاله لولي العهد: (أين العقول؟).

ج. ورد التساؤل الثالث بالقول:

(فأين العقول)؟ سؤال يحمل في باطنه قوتين إنجازيتين، تمثلت الأولى في السؤال المباشر بالقول أين أصحاب العقـول النيرة؟ لكن جـاءت قوته المستلزمة حاملة استهزاء ساخرا مما ذهـب إليه الإمام، فلم يترك صاحب عقـل في حالـه، فقـد تسلط عليهم بالقتل والتنكيـل، منهم من صمد في وطنه وبين شعبـه لقى مصرعه، ومنهم مـن هاجـر وتشرد وهو يعاني الأمرين، وعاد ولقى مصرعه، وأيضا إشـارة لولي العهد بأن يكون حازما في أمور شعبه، وألا يكون جاهلا متخلفا كما كان والده، فضلا عن كونه يقدم النصح بأن يلتفت لمن حوله، فهناك أناس في وعي وطني وهمٍ شعبي وتفان وإخلاص، وأكبر همهم وأكثر شغلهم الوطن وقضاياه.

د. ورد التساؤل الرابع بالقول:

(أيـن أربـاب النهـى)؟ لم يستطع الشاعر أن يقف عند تسـاؤل واحد ويفي به الغرض، فقـد كان يتساءل عن قهـر، وظلـم، وقسـوة، ومـرارة الألم والندم والضعف، فلـم يكتف بالقول أيـن الحضارة؟ لكنه عمـد إلى سرد متواليات من الأحداث الكلامية المباشرة وغير المباشرة، ولأنه في موقف مدح جعل لنفسه متسعا للتعبير الحر، فهو لم يخف ولم يعد يبالي بما يحصل له، لاسيما وكل همه الوطن الغالي والشعب المقهور ظلما وقسوة، وكان يطمـح مـن ولي العهد أن يشيد الحضارة، ويستقطـب أبناء بلاده، ويفتح لهم آفاق المجـد والعلو، ويضع الوطن موضعا يليق به، لكن ما عمله الإمام حمس الشاعر، ودفع به للتعبيرودفع ولي العهد للإصلاح، وتشييد البلاد، وإعادة ما سلبه أبوه، وأبرز ما كان يركز عليه (العلم والمنطق)؛ لهذا يتساءل أين العلوم؟

هـ. ورد التساؤل الخامس بالقول:

(أيـن العلـوم؟) يطلـق الشاعر هذا السـؤال وهو يشعر بالألم والقهـر، فأين العلوم التي يتمتـع بها شعبه، أين المنطق؟ أين المكانة التي وضعت لهذا الشعب وأهله، لن يرتقي الشعب وهو يعيش في جهل وتخلف، وهنا يحاول الشاعر أن يكشف عن مساع للإمام وأهدافه الدنيئة، وهي أن يعيش الشعب في ظلم وجهل، وقد تحقق له هذا فبـات الشعـب في ظـلام دامِـس، ولأن ولي العهـد كان يوهم الشعب أنـه نسخة مختلفة عن أبيـه فقد صدح له الشاعـر بمـا ينبغي عليه عمله حتى لا تصيبه لعنـة الشعب المقهور. فجميع التسـاؤلات التي طرحها الشاعر

https://doi.org/10.20428/JSS.24.3.1

كانت تحمل قوة السؤال الاستفهامي الحقيقي، وقوة السؤال الاستفهامي المجازي / غير المباشر.

ثالثا: الإخبار:

الإخبار هو: وصف المتكلم واقعة معينة، بحيث يحتمل وصفه للقضية بأنها صادقة أو كاذبة صحيحة أو خاطئة، ويطلق عليها عند العرب (الأساليب الخبرية)، وهي أقوال تحتمل الصدق إن طابقت نسبة الكلام فيها الواقع، وتكون كاذبة إن لم تطابق نسبة الكلام فيها الواقع، والغرض منها تحمل المتكلم مسؤولية القضية المعبر عنها، ومن أمثلة ذلك قول الزبيري:

1. **خلبتكم لغة الحديد وراقكم لون الجحيم وقد غدا يترقرق**
2. **الطفل أهدى منكم، وفراشة المصباح أدرى للصواب وأحذق**
3. **زلزلتم الدنيا لكي تجدوا بها رزقا وطير القفر (شاء) يرزق**
4. **وعبدتم الدنيا وحتى لو بدا لغنيكم لهوى إليه يصفق**
5. **إنا وإن ذهب الزمان بحقنا سنرده والدهر عاتٍ محنق**
6. **كنا هداة العالمين وأنتم ما بين جلمود وآخر ينعق**
7. **سدنا ولم تكن الجحيم سلاحنا كلا ولكن رحمة وترفق**

يصدر الشاعر متواليات إخبارية في مستواها الإنجازي المباشر، ويحملها أغراضا غير حقيقية في مستواها الإنجازي غير المباشر، فالنص يحوى إخبارا / واقعيا، ويصف وقائع واقعية، لا يجهلها القارئ/ المستمع، وإنما الهدف تأكيدها في ذهنه، فقد توالت الجمل الإخبارية بين صادقة وكاذبة، وكان لحضور الجمل الإخبارية الصادقة مساحة كبيرة في القصيدة، لاسيما والشاعر كان يهدف – من خلال هذا – إلى الكشف عن صدق ولي العهد وإخلاصه لشعبه، ومثلت الجمل الصادقة مبالغة تأثيرية في أغلب النصوص الشعرية، فضلا عن كونها ذات صلة أكيدة بالواقع وكل ما فيه من تناقضات.. ومن أبرز دلالات تلك الجمل ما يأتي:

1. **خلبتكم لغة الحديد وراقكم لون الجحيم وقد غدا يترقرق**

فهو إخبار حقيقي يحمل قوة إنجازية ظاهرة على مستوى النص وهي إظهار الحقيقة، فالإمام لم يعد يعرف إلا لغة الحديد فهو سجان، والقيد سلاحه، والسجن عقوبة لكل من ارتكب خطأ أو لم يرتكب، فهذا جبروت إمام ظالم، تمرد على كل اللغات، وتميز بلغة الحديد، حتى إن الجحيم أصبح يترقرق أمام عينيه، ويشتعل في ناظريه، رسم الشاعر للإمام صورة بشعة، لكنها حقيقة لواقع مليء بالظلم وانتهاك الحقوق، والإمام ليس هو المقصود بالخطاب الموجه إليه فقط، بل كان لولي العهد نصيب في ذلك، فقد تعمد الشاعر أن يكون الخطاب إخبارا بما كان عليه الإمام، وتحذيرا لولي العهد من الوقوع في ذلك، فقد استعمل الشاعر ملفوظات لفظية على مستوى الخطاب الحواري المتداول بين الشاعر والممدوح، فمثلا استعمل الدالة على رسم حقيقة الواقع المؤلم، فالشاعر في منظومته اللغوية تمكن من رسم حقيقة الصورة التي جسدها للإمام وابنه من بعده، وأيضا هي صورة للطاغية المستبد، كيف لا وهو يستمد من القضبان الحديدية عقوبة لأفراد الشعب الذين لا حول لهم ولا قوة، ألم يكفهم سلب حقوقهم، ونهب ممتلكاتهم، وتسليط حواشيهم عليهم، واستبدادهم، وقهرهم، وفرض أشنع العقوبات! تساؤل مبطن في الإخبار الحقيقي الذي جاء به الشاعر في تصوير تقريري موجز في عبارات موحية ذات طابع إيحائي، تهدف إلى كشف معاناة الشعب، ورسم صورة للطاغية، وأيضا تسعى لتبليغ رسالة تواصلية لولي العهد بأن يتجنب ما كان عليه والده، وأن يضع كل همه مصلحة شعبه، وأن يسعى لكسب رضاهم وثقتهم.

فالشاعر استمد صوره وتشبيهاته من الواقع، ولم يكن هذا الإخبار الحقيقي غائبا عن ولي العهد بل جاء به- الشاعر- تأكيدا وتحذيرا وتنبيها ونصحا وإرشادا من الوقوع في مغبة تكرار واقع الإمام.

https://doi.org/10.20428/JSS.24.3.1

2. الطفل أهدى منكم، وفراشة المصباح أدرى للصواب وأحذق

فهذا رسم إخباري حقيقي لواقع الشعب المنكوب، وهنا ظهرت قضيتان إخباريتان: تمثلت الأولى في صدق المحتوى القضوي للقضية المفسرة بهداية الله للأطفال دون سواهم، وجاءت القضية الثانية ممثلة بالمبالغة في الوصف الإخباري؛ كونها تمثل سخرية من عقول هؤلاء الحكام الذين يغوصون في الباطل ولا يعرفون طريق الحق، مقارنة بينهم وبين الأطفال، فالطفل بصغر عقله لكنه أكثر حكمة منهم، وليس الطفل فقط، بل حتى الحشرات – وهي أصغر المخلوقات – أكثر دراية وقدرة على التمييز بين الأشياء، فالشاعر يقدم موازنة إخبارية يهدف من خلالها للوصول بولي العهد إلى الاقتناع والابتعاد عما يسيء للشعب، ويثير حفيظته، ومن جانب آخر يوجه رسالة للشعب بالاستعداد للانطلاق نحو التغيير.

3. زلزلتم الدنيا لكي تجدوا بها رزقا وطير القفر (شاء) يرزق

فهي متواليات إخبارية ذات طابع وصفي، تقريري، إخباري، حيث يرسم الشاعر بشاعة وهول الوضع الذي نتج عن أفعالهم، فالدنيا لم تعد بخير، والأنفس لم تعد على خير، لأن ما قمت به ليس بالأمر الهين، لهذا شبه أعمالهم وتشريدهم وتنكيلهم بالشعب بالزلازل التي تدمر كل شيء وتقضي على أي شيء، ولكنه ورد هنا بصيغة الماضي المرتبط (بتاء) الفاعل التي ترتبط ارتباطا مباشرا بالمخاطب/ الممدوح، فحتى عندما كان الشاعر يقف مادحا فالخوف من مكر ولي العهد كان يسطو على تراكيبه ويغزو تعابيره، لهذا أسند الفعل الماضي إلى (تاء) الفاعل لعله يصل بالرسالة إلى ولي العهد: نأمل فيك (أنت) ألا تكون تكرارا للعهد السابق.

وهي أيضا تشير للإمام لاسيما عندما ربطها بالماضي الأليم، لكنها هنا جاءت بصيغة الجمع باستعمال (الميم) وكأنه يريد أن يصل إلى حقيقة إخبارية مفادها أن كل حاكم ظالم، وكل ولي عهد نسخة مكررة ممن سبقه، فالتوجيه الإخباري صريح بمدى بشاعة تصرفات الإمام وحاشيته التي يسلطها على الشعب، ولكن الشعب يستمد قوته من الله الذي لا تضيع عنده الحقوق، ولهذا يقول: (وطير القفر (شاء) يرزق) وهو بهذا يريد أن يقدم حقيقة إخبارية تصويرية تصف الحالة التي بات عليها الشعب، وتوضح الأسباب التي أدت إلى ذلك، وكأن الإخبار خرج من غرضه الحقيقي (الوصف) إلى أغراض أخرى لعل أهمها: (التوضيح، النصح، التهديد/ الوعيد، التنبيه،....).

4. وعبدتم الدنيا وحتى لو بدا لغنيكم لهوى إليه يصفق

يستمر الشاعر في سرد منظوماته الإخبارية/ تراكيبا وجملا ذات إيحاء برسم واقعي حقيقي، كما أراد الإمام أن يكون، لكنه في هذا الإخبار يقف ساخرا منهم بأسلوب تقريري، وكأنه يقوم بعرض خفاياهم للعالم أجمع، ويكشف زيفهم ونفاقهم، ويخبر الناس عن مدى خبثهم، فأنتم عبدتم الدنيا فقط؛ لأنها تغدق عليكم بالنهب، والسلب من خيرات الشعب، فالإخبار كان رسما لحقيقة تأكيدية، وهي أن الغني منكم لم يشبع، بل يظل يجمع وينهب ويسلب وهذه هي الحقيقة، وهنا استهزاء من تسلطهم بالحكم وطغيانهم، فالغني منكم – إشارة إلى ولي العهد – يهوي ويصفق للحكم وينعق من بعيد، وعلى أتم الاستعداد لإزالة كل من يقف في طريقه، ويحول بينه وبين الحكم، حتى أقرب الناس إليه. فقد مثلت إخبارية الشاعر قوتين إنجازيتين: الأولى كانت مباشرة وهي وصف لظاهرة عدم الاكتفاء والاستمرار في السلب والنهب، أما الثانية فقد كانت تشير إلى الحكم والسلطة، فولي العهد كان يسعى لها وجدير بها لاسيما أنه صاحب شخصية قوية، وله مكانة مرموقة، وباتت أعماله في حياة والده تدل على حسن تصرفه وحكمته ودرايته في الحياة، لهذا جاء الإخبار يكشف حقيقته، وينبهه بأن لا يسعى للفساد مجددا، وأيضا إشارة للبعد عن الأهداف والمطامع الشخصية على حساب الشعب.

1. إنـا وإن ذهـب الـزمـان بحقنا سـنرده والـدهـر عـاتٍ محنق
2. كـنـا هـداة الـعـالـمين وأنـتـم مـا بـين جـلـمـود وآخـر ينـعق
3. سـدنا ولم تـكن الجحيم سلاحنا كـلا ولـكـن رحـمـة وتـرفـق

يصل الشاعر في منظومته الإخبارية إلى كشف الحقيقة، معظما شأنه، ومفتخرا بذاته وبأصالته وعروبيته، حيث يقول:

1. إنـا وإن ذهـب الـزمـان بحقنا سـنرده والـدهـر عـاتٍ محنق

فالمستوى الإنجازي للفظ تمثل في قوله (سنرده)، وهنا ظهرت القوة الإنجازية على المستوى اللفظي والمستوى التداولي، فالشاعر يتوعد بأنه لن يظل صامتا على ما يحصل لشعبه بل سيقابل التحدي بالتحدي والقوة بالعزيمة والإصرار، فلو الزمان ذهب بحقنا؛ أي لو هذا الطاغية سرق حقنا ونهب، وتمادى في ظلمه وطغيانه، فلا يظن البعض أننا رضينا بالظلم بل نحن نتوعده ونعده بأننا سنرد حقنا، وقد راعي الشاعر استعمال الألفاظ التي لا تخرجه عما هو فيه، فالموقف مدح لكن تفاعل الشاعر وإحساسه بالألم جعله يتحول من مخاطبة ولي العهد إلى كشف معاناة الشعب، طارحا السبب جانبا، متأملا بأن يكون هناك حس وطني، ودافع ذاتي نحو التغيير، وفي توجيه الخطاب المباشر لولي العهد كان هناك خطاب متبلور في (غير المباشرة) تمثل في تعظيم الشأن والفخر والافتخار بالأصل والعروبة، فضلا عن كونه يشير إلى عامة الشعب بعدم الرضا والاستسلام، وما يؤكد ذلك قوله: (سنرده) فقد ربط الفعل المضارع (نرد) بالسين جامعا بينها وبين الحاضر والمستقبل، فنحن سنرد حقوقنا في القادم القريب.

ثم يبدأ الشاعر بالفخر بحسبه ونسبه، تاركا المدح جانبا، ذاهبا إلى الهدف منه، فهو يعلي من شأنه وشأن شعبه، بالقول:

2. كـنـا هـداة الـعـالـمين وأنـتـم مـا بـين جـلـمـود وآخـر ينـعق
3. سـدنا ولم تـكن الجحيم سلاحنا كـلا ولـكـن رحـمـة وتـرفـق

فالشاعر يقدم حقيقة إخبارية يسعى منها إلى التأكيد على واقع الشعب في الاتحاد والقوة، فنحن اتفقنا واتحدنا ولم تكن الجحيم سلاحنا، ولكنها كانت علينا رحمة وترفق، نحن هداة العالمين، لكن أنتم من قسوة قلوبكم صار كبيركم قاسيا، وأصغركم بات ينعق في وجه الشعب ويتوعده، فهذه الصورة التي يري الشاعر أن يخبر عنها تأكيداً للواقع المر الذي يعيشه شعبه، أما على مستوى النص الإنجازي – غير المباشر – فالشاعر يقدم فخرا بشعبه ومكانته في وسط الشعوب، ويرسل رسالة تحذيرية لمن يحاول أن يفرق شملهم، فالمستوى اللفظي كان يدعو للاتحاد والقوة ولم الشمل أمام من يحاول الفرقة والشتات، أما القوة الإنجازية غير المستلزمة (مقامية) فتتمثل في الافتخار وتعظيم الشأن.

الاستنتاجات:

1. استعمل الزبيري الأسماء التي تشير إلى الممدوح بكثرة، والأسماء بمسمياتها ثابته جامدة، ولا تقترن بزمان ولا مكان، وهذا يدل على أنه لم يكن في موقف مدح بل كان في موقف صمود وتحدٍ وإصرار وعزيمة، فمهما حصل للشعب من الحكام، لن يخضع ولن يقبل الذل والمهانة.
2. شكلت مدائح الزبيري (الوثنيات) قوتين إنجازيتين: تمثلت القوة الأولى في المستوى الإنجازي المباشر وهو المدح، أما القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا فقد تمثلت في جانبين: الجانب الأول كان يدور في توجيه ولي العهد لما ينبغي عليه فعله، وفي اللحظة نفسها كان يقدم الشاعر له التحميس والدعم والتشجيع قولا وفعلا، أما الجانب الثاني فقد كان مغايرا جدا، فالشاعر ثائر وخطابه كان موجها للشعب بالنهوض والقيام بالانتفاضة والدعوة إلى التحرر متى ما فشلت محاولاته مع ولي العهد.

https://doi.org/10.20428/JSS.24.3.1

3. استعمل الزبيري الأفعال بمسمياتها المختلفة مع الضمير العائد على الشعب تحميسا وتشجيعا ودعما للشعب وتحذيرا وتخويفا منه، فالشعب لن يظل خاضعا للحاكم، ولا بد له أن يثور عليه في وقت غير بعيد.
4. عمد الزبيري إلى تقديم النصح والإرشاد لولي العهد، مع توضيح الهدف من المدح الذي يبدو ظاهرا تارة في النص الشعري بلفظة الإصلاح، ومختفيا تارة أخرى تحت مسميات الاستعطاف والرحمة.
5. كشف الزبيري حقيقة الشعب في مدائحه، وحقيقة حكم الحاكم الظالم الغاشم، فقد وضح تفاصيل الحياة وقسوتها.
6. دعا الزبيري ولي العهد إلى الحكم بدلا من أبيه بشرط ألا يكون نسخة مكررة منه.
7. هدف الزبيري لتغيير الواقع المؤلم وتطوير الوضع المتردي، ولخوفه من تشعب توجهات الإمام اتجه إلى ابنه (ولي العهد)، فقدم له مدائحه تحميسا وتشجيعا.
8. بطن الزبيري مدائحه بالعديد من الأغراض، منها: الهجاء، التهديد، الإخبار، التحذير، التنبيه،...، فلم يكن المدح خالصا من الذم وأغراضه غير المباشرة.

التوصيات والمقترحات:

1. نوصي وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، بسرعة التواصل بمن لا يزال حيا من معاصري الزبيري، الذين كان لهم علاقة معه، أو من كان لديه اهتمام في جمع الشعر والنثر وحفظه، حتى لا توافيهم المنية ولم يؤخذ ما لديهم من موروث الزبيري الذي لم ينشر لأي اعتبار كان.
2. جمع كل مديح الزبيري بدءا بمدح الملك فيصل، والإمام يحيى، وما لم ينشر من مديح ولي العهد، وما قاله من مديح في بعض أفراد أسرته، أو معاصريه، أو زعامات عربية أدبية أو سياسية.
3. نوصي الأدباء والنقاد والبلغاء بإنصاف الزبيري في تناول شعر مديحه، وهو جزء متصل بموروثه الشعري والأدبي ومتعلق بظروف زمانه.
4. نوصي الباحثين بدراسات مستقبلية تتناول:
   - صورة الممدوح الساخرة في وثنيات الزبيري، مقارنة بصورة الممدوح الساخرة "كافور الأخشيدي".
   - غرض المديح في شعر الزبيري وعلاقته بموروثه الأدبي.

المراجع:

ابن الأثير، ضياء الدين (1938)، *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر* (الطبعة الأولى)، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانه، القاهرة: نهضة مصر.

أوستين، جون (2008)، *نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام؟* (ترجمة عبد القادر قنيني)، المغرب: الدار البيضاء، دار إفريقيا والشرق.

برينكر، كلويس (2004)، *التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج* (ترجمة سعيد حسن بحيري)، القاهرة: مؤسسة المختار.

بن يامنة، سامية (2008)، الاتصال اللساني بين البلاغة والتداولية، *مجلة دراسات أدبية، (1)*، 55 - 71.

بوجراند، ودي (1998)، *النص والخطاب والإجراء* (ترجمة تمام حسان) (الطبعة الأولى)، القاهرة: عالم الكتب.

الجرجاني، عبدالقاهر (1992)، *أسرار البلاغة* (الطبعة الأولى)، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة: المطبعة المحمدية.

دايك، فان (2005)، *علم النص مدخل متداخل الاختصاصات* (ترجمة سعيد بحيري) (الطبعة الأولى)، القاهرة: دار القاهرة.

الزبيري، محمد محمود (2004)، *الاعمال الشعرية الكاملة [ل]محمد محمود الزبيري*، صنعاء: وزارة الثقافة والسياحة.

الزناد، الأزهر (1992)، ***دروس في البلاغة العربية***، **المغرب: الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.**

الزهراوي، نعيمة (1997)، ***الأمر والنهي في اللغة العربية***، **الرباط: مطبعة المعارف.**

سيف، تغريد عبد الحكيم (2013)، ***الأفعال الكلامية في كتاب الحيوان للجاحظ، في ضوء نظرية أفعال الكلام العامة*** **(أطروحة دكتوراه غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة تعز، اليمن.**

الشهري، عبد الهادي بن ظافر (2004)، ***استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية*** **(الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكتاب الجديد.**

صحراوي، مسعود (2005)، ***التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي***، **بيروت: دار الطليعة.**

الطباطبائي، طالب سيد هاشم (1994)، ***نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين واللغويين العرب*** **(الطبعة الأولى)، الكويت: مطبوعات جامعة الكويت.**

العسكري، أبو هلال (2004)، ***كتاب الصناعتين – الكتابة والشعر*** **(الطبعة الأولى)، تحقيق علي النجار ومحمد أبو الفضل، بيروت: المكتبة العصرية.**

العلوي، يحيى بن حمزة (1982)، ***الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، وعلوم حقائق الإعجاز*** **(الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكتب العلمية.**

فضل، صلاح (1996)، ***بلاغة الخطاب وعلم النص – أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب*** **(الطبعة الأولى)، القاهرة: الشركة المصرية العالمية.**

القرشي، رياض (1990)، ***شعر الزبيري بين النقد الأدبي وأوهام التكريم***، **القاهرة: دار الطباعة الحديثة.**

مانغونو، دومينيك (2008)، ***المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب*** **(ترجمة محمد يحياتن) (الطبعة الأولى)، المغرب، الرباط: الدار العربية للعلوم.**

مزواغي، أحمد (2012)، ***أساليب الإقناع في سورة يوسف – دراسة لسانية تداولية*** **(رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة وهران، الجزائر.**

Searle, J. R. (1972). *Les actes de langage: Essai de philosophie du langage* [Speech acts: An essay on the philosophy of language]. Paris: Hermann.

https://doi.org/10.20428/JSS.24.3.1